كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم علم النفس

مادة العمليات المعرفية في المواقف التربوية

السنة أولى ماستر تخصص علم النفس التربوي

السداسي الأول

د. حاجب سلسبيل

المحاضرة الخامسة

التفكير و اتخاذ القرار

تمهيد

تؤدي العمليات المعرفية إلى الفهم والقدرة على تحويل المعرفة في إطارها الملائم واستخدامها، لذلك يجب الاهتمام بها أثناء التعلم، خاصة أنه في العصر الحالي الذي نعيش فيه يتميز بالتغير والسرعة في التطور في مجال تكنولوجيا المعلومات، الأمر الذي يتطلب الاهتمام بقدرات الفرد التي تمكنه من مواكبة التطور التكنولوجي، وبالتالي الاهتمام بتدريب الأطفال في المدرسة على أفضل أساليب التفكير السليمة.

1- تعريف التفكير

يرتبط التفكير بقدرة الفرد على تنظيم مدركاته، لذلك فهو معالجة عقلية للمدخلات الحسيةالتي تتعلق بالعالم الخارجي من أجل تكوين أفكار واتخاذ قرارا وإيجاد حل للمشكلات (شكشك، 2007: 14).

يؤثر التفكير بشكل مباشر في طريقة وكيفية تجهيز المعلومات، وهو عملية معقدة تحدث على مستوى الدماغ الذي يعمل وفق نظام معرفي متداخل ومتشابك، نتعرف عليه (أي هذا النظام) من خلال السلوك الظاهر.

التفكير هو نظام معرفي معقد يتكون من ثلاثة عناصر أساسية، يتجلى الأول في المعارف الخاصة التي يمتلكها الفرد حول موضوع معين أو بمحتوى المادة التي يريد تعلمها، ويتجلى الثاني في العمليات المعرفية البسيطة أو الأقل تعقيدا مثل الفهم والتطبيق، أي الجانب الإجرائي الذي يتمظهر في السلوك، ويتجلى الثالث في العمليات المعرفية المعقدة وعلى رأسها حل المشكلات.

2- مستويات التفكير

لقد كانت البدايات الأولى للاهتمام بالتفكير وضرورة إدراجها في المناهج التعليمية مع أطروحة بلوم Bloom، حيث وضع تصنيفه الشهير الذي عُرِف باسمه أي"تصنيف بلوم" كنموذج لتكوين مهارات التفكير العليا.

يتضمن هذا النموذج تصنيفات لعملية التفكير ومهاراته، ينبغي على المهتمين بتمدرس الأطفال استخدامه بهدف تعليمهم التفكير، وهو كما يلي:

أ- مهارات أساسية، تشمل المعرفة والاسترجاع/ الاستدعاء والاستيعاب، والتفسير والملاحظة والتطبيق والمقارنة والتصنيف والتلخيص وتنظيم المعلومات.

ب- عمليات مركبة، تتضمن التفكير الناقد الذي يقوم على الاستنباط والاستقراء والتقويم، كما تتضمن التفكير الإبداعي الذي أساسه التخيل والأصالة والمرونة والطلاقة، إضافة إلى حل المشكلات من خلال تنشيط القدرة على التحليل والتركيب والتقويم، وأيضا اتخاذ القرار الذي ينبني على تحليل الهدف وتوليد الحلول الممكنة ودراستها ثم ترتيبها حسب الأفضلية، ثم استخلاص أقوى الحلول وتقديمها (حلين اثنين أو ثلاثة حلول) لتأتي في الأخير مرحلة اختيار أقوى الحلول.

ج- عمليات مطامعرفية، تشمل ثلاث قدرات أساسية هي: التخطيط والمراقبة والتقييم.

3- بناء التفكير

قبل دراسة التفكير ينبغي التوقف عند بعض المفاهيم التي تبدو رئيسية من أجل فهم طبيعة النشاط الذهني وهي كما يلي:

العقل La raison، ويعني قدرة التفكير واشتغاله عند الإنسان فيستطيع بذلك التعرف إلى الأشياء والحكم عليها والتصرف وفقا للمبادئ، ونشير هنا أن النظريات العلمية حول بنية العقل ترتبط باشتغال الذهن (Louis de Broglie)، فالقدرة على التفكير يسمح للفرد بإصدار الأحكام وتنفيذها.

الاستدلال Le raisonnement يقصد به النشاط ذهني وكيفية اشتغاله حيث يتضمن متتالية من القضايا التي ترتبط فيما بينها وفقا لمبادئ محددة الأمر الذي يؤدي إلى استنتاج مجموعة من الخلاصات.

الاستنتاج Le raisonnement déductif، يعني عملية ذهنية تهدف إلى استخلاص نتيجة أو مجموعة من النتائج انطلاقا من قضية أو مجموعة من القضايا التي تسمى مقدمات، وبها فهو انتقال من الجزء إلى الكل وفقا لقواعد منطقية.

الاستقراء Le raisonnement inductif، وهو العملية التي ينتقل بها الذهن من قضايا خاصة إلى قضايا عامة، تسمى الأولى مستقرِئة وتسمى الثانية مستقرَأة، أي تعني الانتقال في البرهنة من الجزء إلى الكل (أرسطو) يكون الهدف منه هو الحكم، ومن ثمة فإنه يعني إخضاع الوقائع إلى قوانين ومبادئ.

فعل استدل/ برهن Raisonner، يعني استخدام العقل لتشكيل الأفكار وإصدار الأحكام، أي قيادة الاستدلال Conduire un raisonnement وتسلسل الأحكام للوصول إلى النتائج.

تشكل هذه النقاط خطوات أساسية للتفكير المنطقي.

الحدس Intuition وهو نوع من المعرفة المباشرة التي لا تستند إلى حجة، ويعرفه برغسون Bergson بأنه نوع من التعاطف مع موضوع المعرفة. إننا عندما نفسر فعلا معينا عن طريق الحدس ثم نعمم فنحن هنا نقوم بالاستدلال عن طريق الاستقراء.

بعد التطرق لهه المفاهيم التي تُعَدُّ أساسية لنشاط العمليات المعرفية سنحاول وصف كيف تتم عملية التفكير من خلال تحليل الأسئلة الآتية:

– **ما هذا؟** يحيل هذا السؤال إلى الفضول Curiosité الذي يعني الحاجة إلى التعلم، وهذا يمكن أن يعبر على أول خطوة نحو الاستدلال الفطري Le raisonnement instinctif الذي يتمظهر في الرغبة في التعرف إلى الأشياء باستخدام الحواس. يشير هذا السؤال أيضا إلى وجود الوعي فكل وعي هو وعي بشيء ما (Sartre).

– **لماذا؟** يشير السؤال إلى البحث عن التفسير الذي هو في الواقع اعتبار، وبشكل فطري، أن كل نتيجة Effet لها سبب، ويُعَدُّ هذا بداية التفكير السببي.

إذن نستنتج أن التفكير يبدأ من الحدس/ الاستدلال الحدسي Le raisonnement par intuition وينتهي بالاستدلال المنطقي.

عندما نريد التفكير في أمر ما غالبا ما نستخدم العبارات الآتية:

– لدي حدس بأن...

– أعتقد أن/ أظن أن...

– أفكر... (أي أننا نقوم بالربط بين الأفكار)

– ثم نبدأ بالاستنباط/ الاستنتاج Déductions.

– لنتوصل فيما بعد إلى نتائج

نستخلص من هذه العبارات أن الوعي والحدس والظن والاعتقاد والتفكير يبدأ من معطيات ومعارف وأفكار.

نعتبر عموما أنه أثناء الاستنباط نفسر الوقائع باعتماد قوانين عامة أو نستنتج انطلاقا من مقدمات منطقية، فالاستدلال يتم من خلال التفكير الذي يكون واعيا وخاضعا لقوانين ويفسح المجال للملاحظة والتحليل والنقد.

أما في الاستدلال الاستقرائي/ الاستقراء ننطلق من الوقائع الخاصة للوصل لما هو عام.

وأما الاستدلال من خلال الحدس فإنه يتم استخلاص النتائج في غياب المنطق، وهنا يمكن أن نفترض أن التمثلات الذهنية والتبصر أو الاستبصار Insight هي عناصر أساسية خاصة بالحدس.

تجدر الإشارة أنه من الصعب فصل الاستقراء عن الاستنباط (Claude BERNARD)، وهنا نواجه ما يتعلق بالحدس والاستدلال في ثلاث وضعيات هي:

- ممارسة التفكير المنطقي/ المنطق
- اتخاذ القرار
- حل المشكلات

أ- المنطق

يشكل المنطق مبدأ أو وسيلة للتفكير الصحيح والسليم، كما يشكل مجموع القواعد التي يتبعها العقل حتى لا يقع في التناقض، وبالتالي فإن الهدف يكون هو صدق الحكم على النتائج العملية (المنطق النفعي/ البراغماتي) وهو يتضمن عمليتي الاستقراء والاستنباط الضروريتين للمنطق الصوري (الرياضيات والهندسة والجبر).

يدرس علم النفس المعرفي المنطق، أي طريقة التفكير كما هي في الواقع وقد تخضع أو لا تخضع للمنطق الصوري. نمارس المنطق حسب ما يفرضه الواقع المعيش وليس بالضرورة أن يخضع للمنطق الصوري.

ب- سيرورات القرار

تُعَدُّ أول خطوة هنا ضرورية هي توضيح العلاقة بين القرار وحل المشكلات بعد تحليل معطيات المشكلة غالبا ما نجد أن هناك طرق مختلفة لحلها، وفي بعض الأوقات يجد الفرد نفسه أمام اختيار (واع)، أي اتخاذ القرار. كما أن هناك حالات لا يمكن عدها مشكلة لأننا نعرف فورا أن هناك حلولا مختلفة ممكنة، فقط يجب اختيار واحد منها، وبهذا فإن الفرد يواجه حالة ينبغي أن يتخذ فيها قرارا.

ينتج مفهوم سيرورة القرار عن تطور في فهم الإمكانات الممكنة للاستجابة R لمثير ما S، وهناك حالات تنتج فيها بالضرورة استجابة واحدة لمثير واحد.

إذا كان هذا المثير يؤدي بالضرورة إلى هذه الاستجابة، في هذه الحالة لا يمكننا أن نتحدث عن سيرورات القرار لأن المسألة هنا تتعلق برد الفعل Réflexe (مثال: يؤدي وضع اليد على شيء ملتهب إلى إزالة اليد بسرعة كبيرة وفوريا).

في حالات أخرى يمكن أن تظهر فيها استجابات متعددة لأن سيرورة القرار تتموضع بين المثير واختيار الاستجابة من بين عدة استجابات إلزامية وموصى بها ومسموح بها.

نقصد بالاستجابة الإلزامية أن الاختيار يكون مفروضا، ويمكننا أن لا نستجيب إلاّ أن هذا الاختيار قد يعرضنا إلى نتائج لا ترضي.

هناك أيضا الاستجابة المسموحة أي أن الاختيار ممكن، كما أن هناك الاستجابة الموصى بها أو المنصوح بها، أي إذا ظهر مثير معين فإنه من الحكمة اختيار استجابة بعينها وهي أيضا اختيار ممكن.

تتطلب الاستجابة للخيارات القدرة على استباق/ التنبؤ Anticipation بالعواقب المحتملة، هنا يمكن أن نتحدث سيرورة صنع القرار التي لا بد أن تمر من مرحلتين:

- **مرحلة ما قبل القرار** La phase pré-décisionnelle، أي تحديد المتغيرات Variables التي يجب أخذها بعين الاعتبار.
- **مرحلة القرار** وهنا نتحدث عن أفضل اختيار نميز فيه بين وضعيتين: **الأولى قرار من دون خطر** وفي هذه الوضعية نتصرف حسب وضعية معينة. أما الثانية فتتعلق ب**القرار المحفوف بالخطر** Sous risque، في هذه الوضعية تكون المعطيات غير مؤكدة أو أنها غير تامة، الأمر الذي يؤدي إلى الشك وعدم اليقين الذي يشكل خطرا.